لقد اغاروا على البيت ، وقلبوا كل شيء ، قلبوه ومزقوه ... بسناكي بنادقهم ... هل كانوا يبحثون ... عن الاسلحة فقط ... ام كانوا يبحثون عن ذلك السلاح الاخر ... الذي اسمه الكراهية ...

ولم يعثر العساكر الاسرائيليون على البنادق في بيت موسى أبو عطوان ... ولكن الكراهية ، كانت سلاحا في حيازة الجميع ... في حيازة عائلة موسى أبو عطوان ...

وحينما رآهم باجس أبو عطوان ، يجرون والده ... أمام عينيه ، وينطلقون به ، بعد ان مزقوا بسناكي بنادقهم كل ما في البيت ... الفراش والجدار ... وحينما حاكموا والده ، وحكموا عليه بثمانية أعوام ... ادرك « أبو شنار » ، ان سلاح الكراهية وحده لا يكفي لمقاومة الذين اعتقلوا الارض ، وها هم يعتقلون والده ... احس بأنه لا بد من سلاح اخر ... يقف الى جانب سلاح الكراهية ...

احس بأن الكراهية تنقذ الروح ... وادرك ان البندقية يمكنها ان تنقذ الروح وأن تنقذ الجسد معا ... ، وبدأ طائر الارض بحثه عن البندقية ...

طيلة ايام تدريبه في الجيش الاردني ، كان يطلق الرصاص ... وكانوا يدربونه على اطلاق الرصاص ... ولكن ضد « أكياس الرمل » ... كان العدو واضحا تماما ... ومع ذلك فلقد حولوه الى كيس رمل ... ، حولوه الى عدو غامض ... ، يمكن أن يكون كل شيء ، كيس رمل ... وكيس ماء ايضا ...

ولم يكن باجس أبو عطوان ، في حاجة لمن يدربه على استخدام البندقية ... ولم يكن في حاجة لمن يدربه على ممارسة الكراهية ، كان في حاجة الى ذلك الشيء الذي اسمه : البندقية ... فلقد حبلت يده بالكراهية ، حبلت يده ، وحبلت قدمه ... وحبل فمه ... ولا بد ان يلد الان ...

● ●

... وجاءه من قاده الى الجبل ... ووضع الكلاشينكوف في يده ... وقال له هذا هو العدو ، ليس كيسا غامضا من الرمل ، وليس كيسا غامضا من الماء ... ، فهو عدو يطلق الرصاص عليك ، فلا بد ان تطلق الرصاص عليه ...

... وبدأ باجس ابو عطوان ، « أبو شنار » ، يطلق الرصاص ... وضد عدو يعرفه ... ، في الجيش الاردني ، قالوا له : ان العدو هو كيس رمل وها هو يعرف الان ، ان العدو ... ليس كيس رمل وليس كيس ماء ، ولكنه دوريات تفتيش وعربات ملاحقة ... ، جنود مطاردة ، ومفرزة اعدام ... انه الدبابة والسجن ... والكيبوتسات ايضا ... الكيبوتسات التي تريد ان تحول فلسطين كلها الى « كيبوتس » ... الم يتحول البعض الى دجاجة — في كيبوتس جلعاد أو غيره من الكيبوتسات ... الى دجاجة ، في حوصلتها ، حبة قمح ... تختزنها لتأكلها لا لكي تلقي بها بذرة في الارض ... من اجل سنابل جديدة ... وما اكثر الدجاج الذي ظهر وفي مناقيره الرصاص ...؟ ولكن في سنوات الاحتلال ، فحبة القمح في حوصلة الدجاجة ، ليس شهادة مقاومة لها ... وليس الرصاصة في منقارها ايضا ... فالسؤال هو : بيضة الدجاجة لمن ... وفي راحة كف من ، تبيض الدجاجة ...؟

ولقد كان كل قمح الجبل ، في حوصلة باجس أبو عطوان ... قمح الخليل ، وخرب الخليل ، وقرى الخليل ...

ولكن ... في كف من يبيض باجس أبو عطوان ... ، « أبو شنار » ... في كف من يبيض طائر الارض ...؟